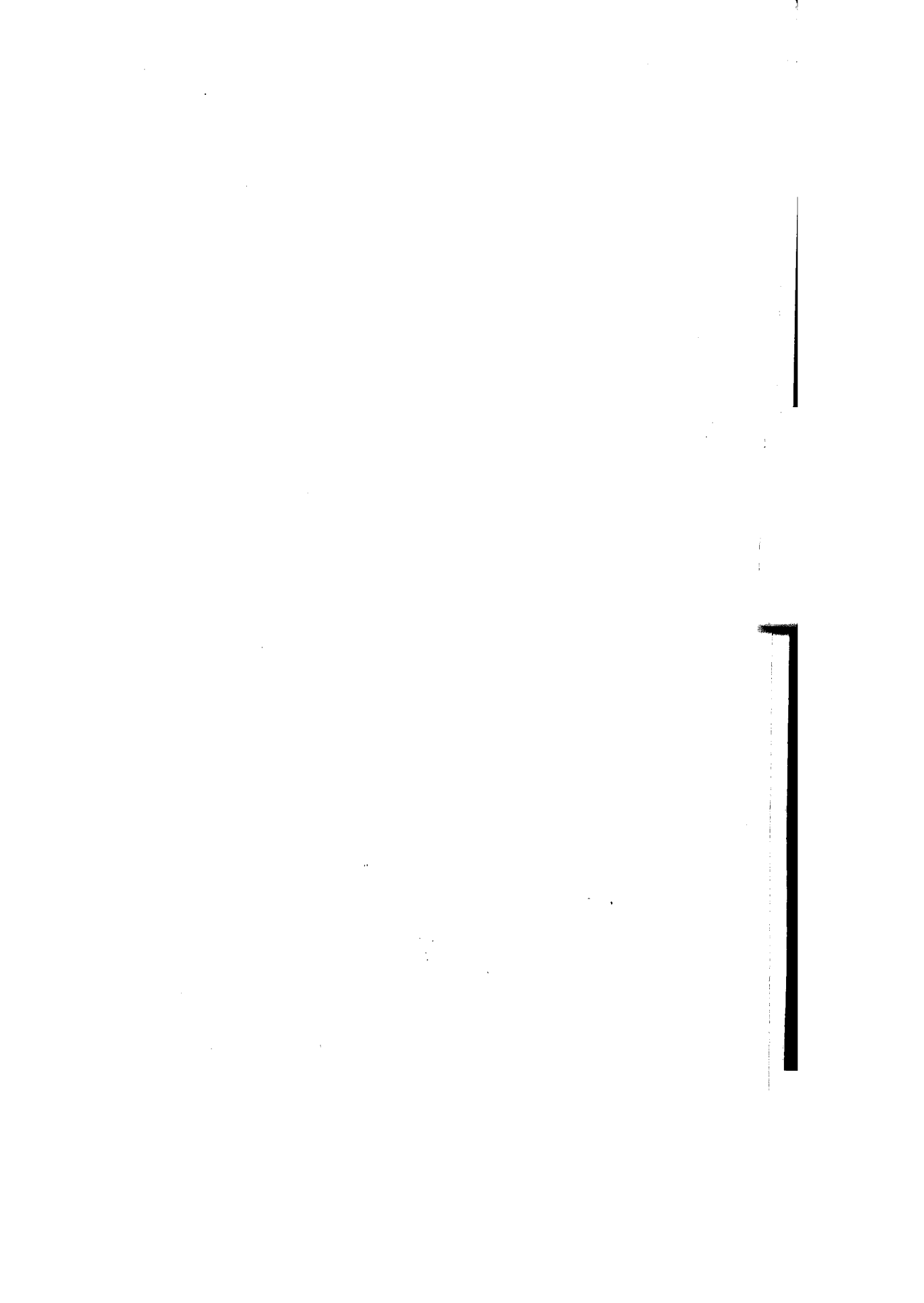


مكتبة
مكتبة

اهداءات ٢٠٠١
ريان / محمد عبد المنعم خالي
الإسكندرية

نِسَاءُ اَلْبَشَرِ
(عائیه العسلاة والسلاار)



نساء النبي

(عليه الصلاة والسلام)

الكتوة عائشة عبد الرحمن
بذت الشاطع

إستاذ الدراسات القرآنية العليا
بجامعة الفرويين - المغرب

الطبعة
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

بمجمع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

طبعة مزبودة منقحة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

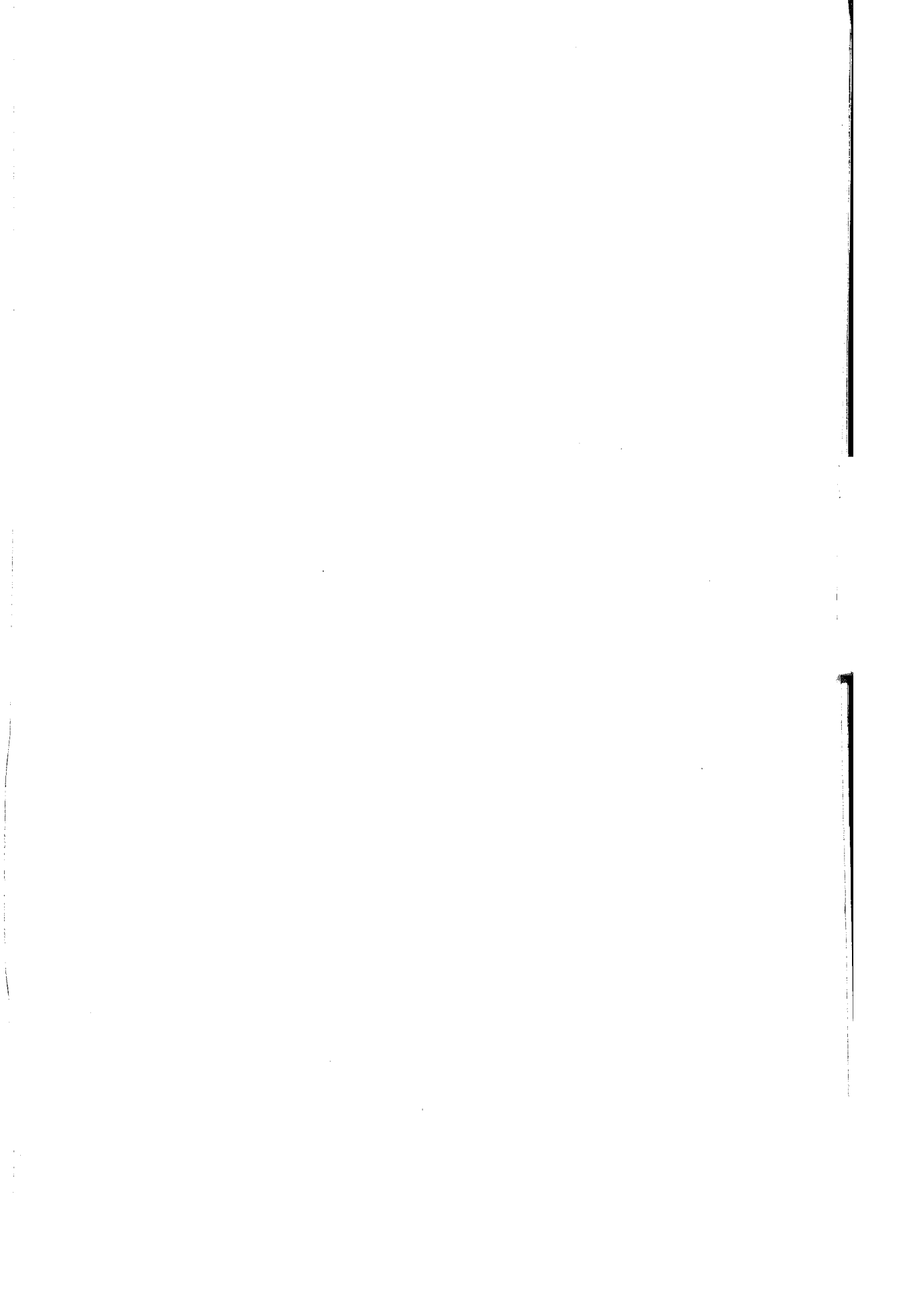
الاهداء

الى رائدنا ، مجدد الفكر الاسلامي

الاستاذ امين الخولي

في قلوبنا ، وضماننا ، وعقولنا .

عائشة عبد الرحمن



تمهيد

باسم الله أقدم هذه الطبعة الجديدة من كتاب (نساء النبي) رضي الله عنهن ، بعد أن نفذت منه اثنتا عشرة طبعة ، لدور: الهلال والمعارف بالقاهرة ، والكتاب العربي ببيروت ، ليأخذ مكانه في سلسلة تراجم لسيدات بيت النبوة رضي الله عنهن ، التي لقيت من تقدير القراء وإقبالهم ما جعل طبعاتها تتوالى تباعا .

وإذا كان رواج هذا الصنف من الدراسات في تاريخنا الإسلامي ، لافتنا إلى حاجة الحياة إليها ، ومصححا ما شاع فينا من أن القراء عندنا لا يطلبون من الزاد الفكري والوجداني إلا الرخيص التافه أو المسف المبتذل الإعلاني ، فإنه في الوقت نفسه ، يؤكد أن الوجدان القومي لأمتنا العريقة لم يفقد وعيه في دوامة الضجيج للبضاعة الأجنبية الغازية ، بل ما يزال يطلب زاده من نبعنا الأصيل الحر... ولست أمن على قراء هذه التراجم ، أن بذلت لها ما استطعت من جهد مخلص... بل هم الذين يمنون عليّ أن منحوني كل تشجيع ومؤازرة ، فقد كان حسن استقبالهم لهذه الدراسات الجديدة في البيت النبوي ، مددا لي : يعيني على مواصلة الدرس ، ويزودني بطاقة على احتمال أعبائه وتكاليفه ، في ظروف قاسية صعبة .

ولا بد لي من أن أشير إلى رغبة كريمة ، أبدأها بعض السادة القراء ، ممن يؤثرون أن نطوي بعض أخبار عن حياة الرسول الخاصة ، تعلقت بها شبهات أعداء الاسلام :

غير أنني في الحق ، ألفت أن طي هذه الأخبار ، لا تقره أمانة البحث ، ولا هو من هدي القرآن الكريم الذي حرص على أن يسجل منها ما يؤكد بشرية الرسول ، كي

يعصمنا مما تورط فيه غيرنا ، حين جردوا رسلهم من بشريتهم ، وأضفوا عليهم من صفات الألوهية ما يشوب عقيدة التوحيد التي هي جوهر الدين كله .

وما كان لي أن أطوي ما لم يطوه الله تعالى ، عن بيت نبينا ﷺ ، في آيات نتعبد بها ونتلوها قياما وقيودا وعلى جنوننا ، فلم يعد يحل لدارس مسلم أن يضرب الصفح عن ذكرها ، فيما يتناول من حياة النبي ﷺ ، وقد نزل بها الوحي في سورٍ وآيات محكمات .

وأنا بعد لا أرى في هذه المواقف ، إلا آية عظيمة في نبينا الذي استطاع وهو بشر مثلنا ، أن يضطلع بآخر رسالات السماء ، وأن ينقل بها الإنسانية إلى مرحلة الرشد ، ويحررها من ضلال الوثنية وشوائب الشرك ، ويقودها على مراقب طموحها إلى تحقيق وجودها الأسمى ...

آية البطولة في محمد بن عبد الله ﷺ ، انه استطاع وهو بشر مثلنا أن يدخل التاريخ كما لم يدخله سواه ، وأن يوجه سيره على امتداد الزمان والمكان منذ اصطفاه الله تعالى خاتما للنبين عليهم السلام .

* * *

أريد لأقول :

إنني في كل ما تناولت من حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لم أر في شيء منه قط ، ما أخرج من تعريضه لضوء البحث الأمين ، وقد كان مرجعي فيها جميعا ، القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومصادر إسلامية في السيرة والتاريخ ، لا يرقى إليها أي شك في حسن المقصد وصحة الايمان ...

ومنه تعالى أتمس الهدى والتوفيق ، سبحانه : عليه توكلت واليه أنيب .

عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

مصر الجديدة

مقدمة

هذا حديث عن حياة سيدنا محمد ﷺ في بيته ، أعرضه في صور متتابعة للسيدات الكريمات اللواتي أظلهن هذا البيت ، وكان ، لكل منهن أثرها في حياة زوجهن المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومكانها في تاريخه العظيم وسيرته الخالدة . ولم أكتب كلمة واحدة من هذا الحديث ، حتى قرأت ما في مكتبتنا مصادر ومراجع لهذا الجانب من حياة الرسول ﷺ ، في بيته . مبتدئة بالقرآن الكريم ، والحديث وكتب السيرة ، والتفسير ، ثم التراجم والتاريخ . وطالعت ما في خزائني من كتب للمستشرقين في هذا الموضوع .

على أني حين بدأت أكتب ، خلّيت هذا الحشد من المؤلفات إلى جانبي أرجع إليه كلما دعت حاجة أو ضرورة ، وتركت قلبي يصور حياة أمهات المؤمنين في بيت النبي ﷺ ، كما تمثلتها بعد أن وعيت الذي قرأت ...

وأعترف بأنني شعرت بتهيّب حين فرغت من القراءة ، هممت معه بالتراجع عن الكتابة في هذا الموضوع ، وذلك لما ملأني من احساس بجلاله ودقته من ناحية ، ولكثرة ما كتب فيه من ناحية أخرى :

فهؤلاء السيدات اللواتي عشن في بيت النبوة ، ينزعن جميعا الى حواء ، وقد جئن الى بيت تلاقت فيه البشرية بالنبوة واتصلت الأرض بالسماء ، وتزوجن من بشر يتلقى الوحي من أعلى ، ويبلغ رسالة الله عز وجل ، فأنتي لقلم أن يصور حياة كهذه ، تموج فيها اهواء البشرية في فيض من النور الأسنى ، وتتجاذب فيها الأنوثة -- التي نعرف

رقتها وضعفها ورهافة وجدانها - تياراتٌ بالغة القوة والعمق ، يجذبها بعضها الى هذه الأرض الدنيا ، وتشدها أخرى الى السماوات العلاء ، وتتعاذل من هذا بشرية سماوية ، وسماوية انسانية !

غير أنني عدت فرأيتها حياة حافلة مثيرة ، تغري بالدرس والتأمل ، وتجربة فذة ليس من السهل أن أنصرف عنها بعد أن اتجهت اليها .

* * *

وإذ صح مني العزم على تناول هذا الموضوع الجليل الدقيق ، لم أعد أتهب كثرة ما كتب فيه ، فما كانت هذه الكثرة لتحول دون تناول جديد له ، وبخاصة إذ ذكرت أن أغلب الذين كتبوا قبلي عن حياة النبي ﷺ في بيته ، مالوا عن الحق ، ففهم من زين له الإيمان والاحلال أن ينزه الرسول عن بشريته التي فطره الله عليها ، وقررها القرآن والسنة أصلا من أصول العقيدة الإسلامية ، ومنهم من أضله التعصب وأعماه الحقد ، فجعل من هذا الجانب في حياة نبينا العظيم ، ما يشفي غله وينفس عن حقه .

ومن هنا بقي في الموضوع مجال لتناول جديد ، يتمثل حياة نساء النبي في البيت الكريم على هدي دين الفطرة ، وبايحاء البيئة واملاء التاريخ ، وفي نزاهة مؤمنة ، ودراسة محققة ...

وسيرى القارئ اني اقتصرت في هذا الكتاب على الأزواج اللاتي شرفن بلقب أمهات المؤمنين ، ومعهن « مارية القبطية المصرية » التي كان لها الى جانب حظوتها عند المصطفى ﷺ وشرف أمومتها لابنه ابراهيم ، أثر واضح في الحياة الخاصة لمحمد ﷺ . وفيما عدا أمهات المؤمنين ومارية ، لم أتحدث عن السيدات اللاتي تزوجهن ولم يدخل بهن ، وقد اختلفت الروايات في عددهن وأسمائهن ، فمن شاء قراءتها فليرجع إلى كتب السيرة النبوية وطبقات الصحابة وتاريخ عصر المبعث ...

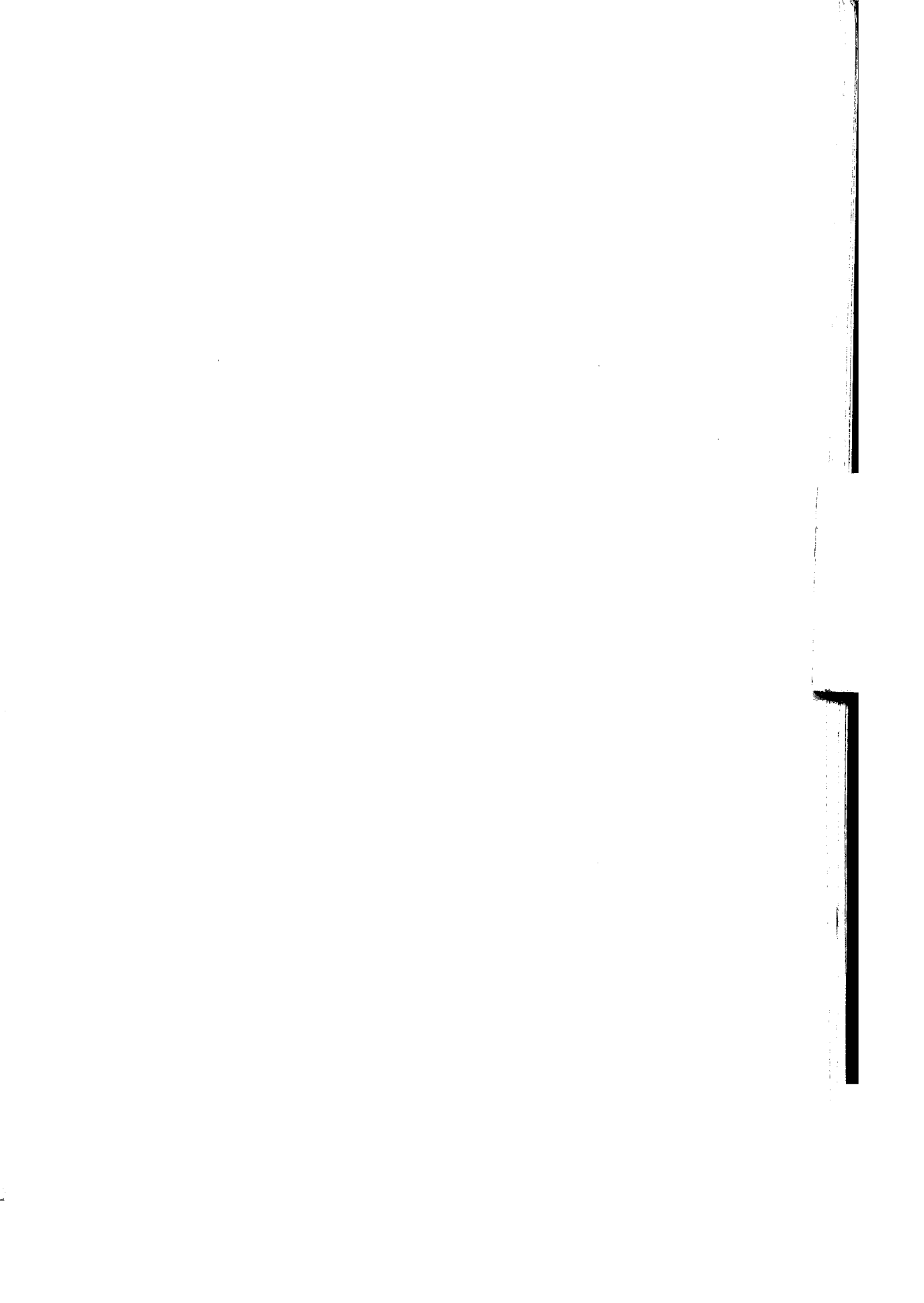
كذلك لم أتحدث عنهن وهبن أنفسهن للنبي ﷺ ، ولا اللواتي عرضن عليه أن يتزوجهن ، ولم يتم الزواج .

ولست أجهل أنه قد كان لهؤلاء السيدات أثر في حياته ﷺ ، العاطفية والزوجية ، غير أن التاريخ المروي ، لم يشأ أن يسجل ذلك الأثر ، ولا عرف لمن مكانا في بيته ، ومن ثم جاز لي أن أدعهن كي أفرغ للحديث عن أولئك اللاتي دخلن حياته ﷺ ، مركزة جهدي في تصوير شخصياتهن كما بدت في البيت المحمدي ، فلم أتعرض لما قبل بحيثن إليه الا على سبيل التمهيد ، ولم أتبع حياتهن بعده ﷺ ، إلا أن تكون إشارة موجزة يدعو إليها المقام .

ذلك لأنني لم أشأ لهذا الكتاب أن يجمع شتى الرويات عن نساء النبي جمعا لماً ، ولا أردت أن أجعل من هذه الدراسة مجموعة من تراجمهن على النحو التقليدي المألوف في تراجم الأشخاص ، وإنما عناني تمثل حياة كل منهن في بيت المصطفى ﷺ ، ومكانها منه ، وتصوير شخصيتها تصويرا يجلوها زوجاً وأثني ، ولا على القارئ بعد هذا أن يلتمس هنا ما وراء ذلك من تحقيق تاريخي لسنة وفاتها ، وتحديد لمكان قبرها وتتبع دقيق لأنبائها بعد زوجها ، بل فليتمسه في غير هذا الكتاب اذا شاء ، وحسبه مني أن أقدم له من ملامح شخصيتها الأصلية ، ما يضيء تاريخها كله . وأود بعد هذا كله أن يطمئن القارئ إلى أنني تحريت جهدي في مادة الكتاب أصالة المصادر ، ثم كان لي بعد ذلك ، منهجي في التناول وأسلوبني في الأداء ونسق العرض .

وعسى أن أكون قد وفقت إلى قريب مما حاولت من تقديم الحياة الزوجية في بيته ﷺ ، بما ينبغي لي من محض التقوى والإخلاص ، وصدق التقدير لجلال الموضوع وأمانة الكلمة .

«وعلى الله قصد السبيل» صدق الله العظيم .



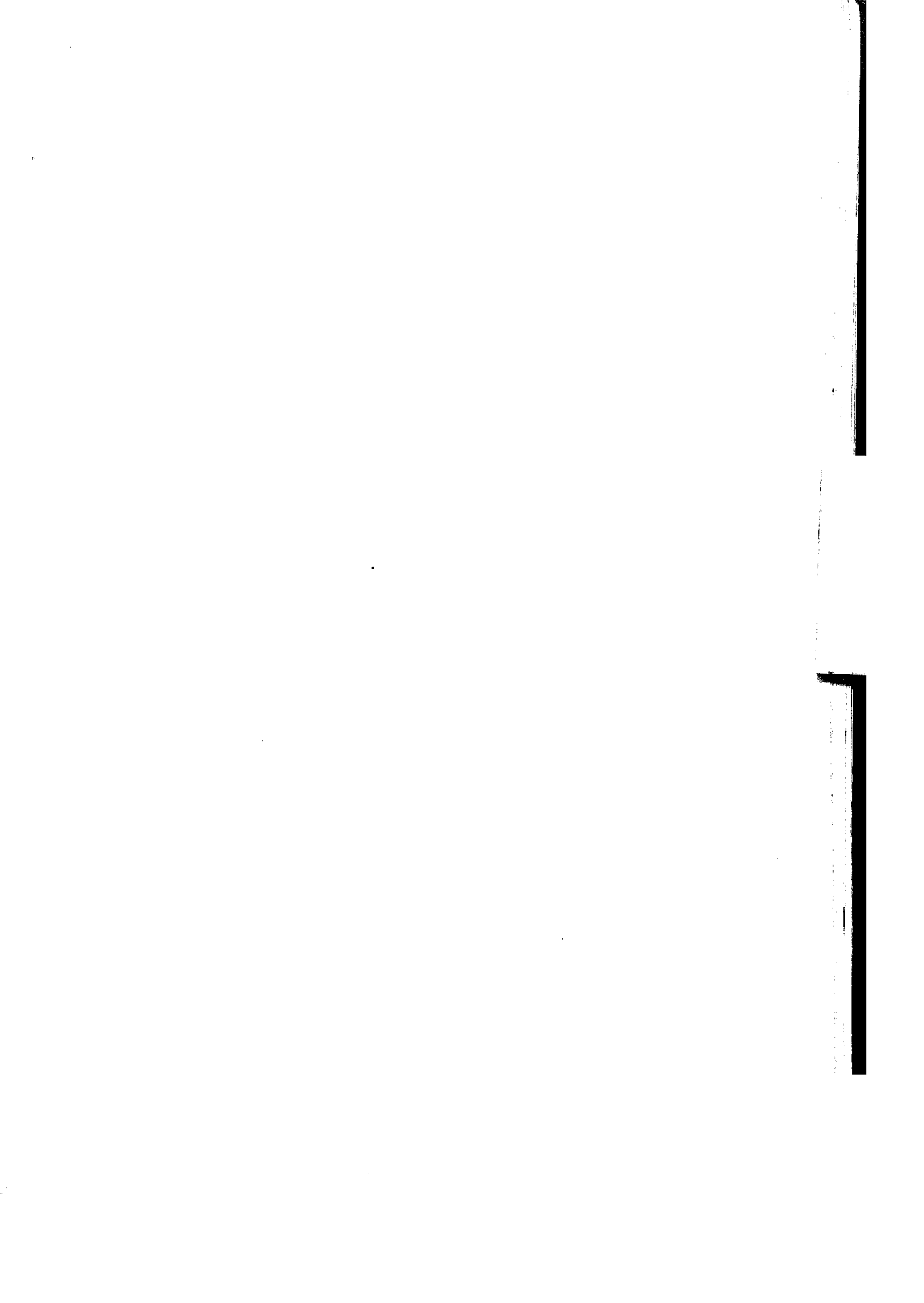
المبحث الأول

محمد ﷺ

بسم الله

الزَّوْجِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

« قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا »
صدق الله العظيم



الْبَيْتُ وَالزَّوْجُ

الحديث عن « نساء النبي ﷺ في بيته ، لا بد أن يسبقه حديث عن الزوج ، وبيته الذي أظلهن . لا أعني به بنيانه وموضعه ، بقدر ما أعني الحياة المشتركة فيه . وأما البيت بمعنى البنيان ، فالواقع أنه لم يكن بيتا واحدا ، بل بيتين : أولها في « مكة » حيث عاش « محمد ﷺ » ، مع زوجه الأولى وحدها ، وحيث أنجب ، وواجه التحول الأعظم في حياته وفي حياة العرب والإنسانية جميعا . وقد وصفتُ هذا البيت في كتابي عن « بنات النبي ﷺ » (١) ومن ثم أعني نفسي وأعني قرأني من التزويد بتكرار ذلك الوصف . البيت الآخر كان في « المدينة » حيث عاشت أمهات المؤمنين جميعا غير السيدة خديجة رضي الله عنهن ، فيجد القراء وصفه موجزا في الفصل الخاص بالسيدة عائشة رضي الله عنها من هذا الكتاب ، إذ كانت أولاهن مكانا فيه ، ومن بعدها جاءت نساء النبي تباعا ، وصار لزواجه ﷺ معنى اجتماعي وسياسي وتشريعي لم يُلاحظ في البيت الأول الذي دخله محمد - ﷺ - شابا في الخامسة والعشرين من عمره ، لم يُبعث بعد برسالة ، ولم يتلق الوحي .

* * *

وفي الحديث عن رب هذا البيت الذي أظلهن ، لا أقدم هنا تتبعا للسيرة النبوية أو عرضا لأبجدها الخالدة ومواقفها المشهودة ، وإنما أقف من هذا كله عند جانب

(١) ظهرت منه خمس طبعات لدار الهلال بالقاهرة . وثلاث لدار الكتاب العربي في بيروت .

كما طبع في المجلد الجامع لـ (تراجم سيدات بيت النبوة) رضي الله عنهن ، نشر دار الكتاب العربي ببيروت .

بعينه لا ينبغي أن أتجاوزَه إلى سواه ، ذلك هو محمد الزوج ، النبي الإنسان الذي أظل بيته هؤلاء السيدات الكريمات ، ووسعتن دنياه الخاصة ، وكان لهن حظ المشاركة في حياته الوجدانية ثم في حياته العملية .

والفصل بين شخصيته زوجا رجلا ، وشخصيته ﷺ نبيا رسولا ، جد عسير ، وليس الأمر كذلك في حياة نبي آخر من حملة الرسالات رغم كونهم جميعاً آدميين ، يقول الله تعالى فيهم : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم » (١) ، ذلك لأن الإسلام قرر بشرية الرسل عليهم السلام أصلا من أصول عقيدته . ومحمد ﷺ كان أحرص الناس على تذكير أمته بأنه بشر : عبد الله ورسوله .

ولم تنزع الرسالة من قلبه عواطف البشر ، ولا جردته من وجدانهم ، ولا عصمته مما يجوز عليهم فيما عدا ما يتصل بالنبوة ؛ فهو كما قال جل جلاله : « قل إنما أنا بشر مثلكم » (٢) : يسكن إلى زوجته ، ويشغل بالأبناء ، ويعاني مثل الذي يعانيه بنو آدم من حب وكره ، ورغبة وزهد ، وخوف وأمل ، وحنين واشتياق ، ويحري عليه ما جرى على سائر البشر من تعب و يتم وثكل ، ومرض وموت :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ » (٣) .

ولو شاء الله لعصم نبيه من كل هذا ، ولأعفاه مما ذاق من حرّ الثكل في بنيه ، وفداحة المصاب في خديجة ، ومحنة الإفك في عائشة . ولجعل حياته نصرا متصلا لا يعرف هزيمة ولا يشفق من خيبة ، وأراحه من اضطهاد أعدائه وكيد المنافقين من أتباعه ، ولكن سبقت كلمة الله لرسوله :

« قل لا أملكُ لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب

(١) من آيات : يوسف ١٠٩ ، والنحل ٤٣ ، والانبياء ٧ .

(٢) سورة الكهف ١١٠ وفصلت آية ٦ .

(٣) من آية ١٤٤ سورة آل عمران .

لاستكثرتُ من الخير وما مسّني السوءُ ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون» (١) .
وإنه لغاية التكريم للبشرية ، أن ينتمي إليها النبي الرسول ، ومن قبل كرمها الله ،
فأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم ، أبي البشر .

* * *

ولكن محمداً ﷺ ، لم يكن مع ذلك كأحد من البشر ، وقد اصطفاه الله من بين
المخلوقين جميعاً ، خاتماً للنبيين ، وبعثه في الناس بشيراً ونذيراً... إنه بشر رسول ،
وهذا هو موضع الدقة والعسر في الحديث عن «الرجل» في حياته العاطفية والزوجية ،
فما يغيب عن كاتب يعرض لهذا الجانب من شخصية محمد ، أنه قد كان النبي
المصطفى ، وأن كلمة الإسلام الأولى هي الشهادة بأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده
ورسوله .

ويزيد في دقة الأمر وعسره ، أن نرى الشخصيتين مندمجتين فيه غير منفصلتين ،
وأن الله سبحانه وتعالى لم يدع لرسوله حياته الخاصة يتصرف فيها كيف شاء على نحو ما
يفعل أي رجل من البشر ، وإنما كان - عليه الصلاة والسلام - يتلقى من حين إلى
حين أوامره في أخص الشؤون الزوجية ، وكانت علاقاته بنسائه تخضع أحياناً لتوجيه
سماوي صريح :

فحنته الإيفك مثلاً ، لم يحسمها إلا نزول الوحي ببراءة «عائشة» مما افتراه عليها
الذين أرجفوا بالسوء ورموها بالفاحشة .

وزواجه ﷺ من «زينب بنت جحش» ما كان ليتم لولا أن نزل به عتاب صريح
من الله الذي كره لمحمد أن يخفي في نفسه ما الله مبديه ، وأن يخشى الناس والله أحق
أن يخشاه .

(١) آية ١٨٧ من سورة الأعراف .

وطلاق الرسول ﷺ لزوجه السيدة حفصة ، خيف من وطأته على أبيها « عمر » رضي الله عنه ، فنزل أمين الوحي على النبي ﷺ بأمر الله أن يراجع حفصة ، رحمةً بعمر .

وضيق نساء النبي ﷺ ، بما فرض عليهن من حياة خشنة ، نزل فيه قوله تعالى في سورة الأحزاب :

« يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا * وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » ٢٨ - ٢٩ .

وسلوك نساءه ، كان يخضع لتبعات القدوة ومسئوليتها الباهظة الصعبة ، قال تعالى في سورة الأحزاب :

« يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفا خبيرا » ٣٢ - ٣٤ .

وبعض هذا يكفي لبيان صعوبة الفصل بين شخصية الزوج وشخصية النبي .

فأي رجل كان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ؟

وأي زوج جمع بيته هذا العدد من عقائل كريمات ، أختلفت أنماطهن ، وتباعدت أصولهن ومنابتهن ، وتفاوتت أعمارهن وصورهن ؟ ..

قد نستطيع - بشيء من الجهد - أن نتبين بعض ملامحه المميزة ، في الشاب الهاشمي الذي صحب عميه أبا طالب ، وحمزة ، الى دار خديجة بنت خويلد ، ليحتفل بزواجه منها في العام الخامس عشر قبل المبعث ...

لقد كان اذ ذاك بشرا غير رسول ، وان يكن المهياً لبعث بالرسالة ...

كان شابا قرشيا هاشميا عريق الأصل طيب المنبت ، أبوه «عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم» ، الذي وعت «مكة» قصة افتدائه من النحر وفاء بنذرابيه (١) ، وهي قصة مثيرة أحييت ذكرى الذبيح الأول «اسماعيل بن ابراهيم» جد العرب العدنانية .

وأمه «آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي» أفضل امرأة في قریش نسبا وموضعا (٢) .

وقد أمضى أعوامه الأولى في بادية بني سعد ، فتركت هذه التربية البدوية طابعها الخاص في شخصيته ، وأكسبته صحة الجسم والنفوس ، وصلابة الخلق وفصاحة اللسان (٣) كما أكسبته حياته اليتيمة الكادحة من بعد ذلك ، قوة احتمال وشعورا مبكرا بالمسؤولية ، وجاءت رحلة صباه مع عمه إلى الشام فوسعت من أفقه وزوّدته بَعْضَ خبرةٍ بالدنيا والناس ، فكان - في إبان شبابه - الرجل الناضج الجلد الصبور ، تلمح في شخصيته آثار البادية ، وفي سلوكه تهذيب الحياة المتحضرة حول الحرم : مثابة الحجاج ، ومسكن قبيلة تتولى النقل التجاري بين الأطراف المتحضرة في الجزيرة ، كما تلمح في عقله تجارب الحياة الجادة العاملة ، وفي خلقه شمائل هاشمي قرشي ، لم يفسده الفراغ والمال ، ولم يُصِبه الترفُ بآفات النعمة واللين .

هكذا كان «محمد» حين سمعت به السيدة خديجة ، وبلغها ما يتحدث به القوم

(١) السيرة النبوية ، رواية ابن هشام ١٦٠/١ ، ط الحلبي وانظر مبحث الفداء بتفصيل ، في كتاب (أم النبي) عليه الصلاة والسلام .

(٢) السيرة ١٦٥/١ ، عيون الأثر ٢٤/١ .

(٣) لم يفتني هنا ان العرب عموما قد احتفظوا بسلامة ألسنتهم ، قبل اختلاطهم بالشعوب بعد الفتح الإسلامية ، ولكن يبقى للبادية مع هذا ، نقاء عربيتها نسبيا بالقياس إلى بيئة مكة التي عرفت الاختلاط قبل الاسلام ، بحكم مركزها الديني والتجاري : فإليها كان حج العرب ، ومنها كانت رحلتنا الشتاء والصيف الى اليمن والشام .